منتدى البحوث الاقتصادية

موجز سياسات

النساء والجندر والحركات الاحتجاجية في العراق

اسماء جميل رشيد وزهراء علي

عن المؤلفات

أسماء جميل أستاذة في جامعة بغداد وباحثة في مجال علم الاجتماع

زهراء علي أستاذة في جامعة روتجرز وباحثة في مجال علم الاجتماع

الخلاصة والتوصيات

- الاحتجاجات بوصفها ظاهرة حضرية استعادت فيها المتظاهرات والمتظاهرون فضاءً كان معسكراً ومخصخصاً وذكورياً وانتجوا فضاء عام وشامل وبعيد عن العنف المسلح، يمكن للنساء فيه ان تتحدى الأعراف الجندرية المهيمنة والمشارَكة بفاعلية في بناء نسيج اجتماعي غير (اواقل) أبوي.
- خروج النساء الى ساحات التظاهر شكل من اشكال المقاومة والرفض للعنف الهيكلي الذي عانت منه النساء جراء الحروب والعقوبات الاقتصادية والاقتتال الطائفي, والفساد المتغلغل في كل مفاصل الحياة.
- استطاع الانخراط في الفعل الاحتجاجي ان يمكن النساء من تحدي الهيمنة الذكورية وساهم في ادراكهن لتمثلات جديدة بعد التحولات الفردية التي رافقت مشاركتهن فلم تعد تلك المتماهية مع قيم الذكور في العائلة وخطت لنفسها نهجا مستقلا ومتعارضا احيانا مع موقف الابناء والزوج وكان من نتائج ذلك اعادة تعريف الأدوار الاجتماعية وبناء هوية جندرية بديلة.
- وقد ساهم الفضاء الافتراضي بشكل فاعل في اختراق النساء للفضاء العام واعطت الاسماء والهويات المستعارة التي تتيحها مواقع التواصل الاجتماعي فرصة اكبر للتأثير والتفاعل بلا رقابة وصرن يعبرن عن آرائهن من خلال انشاء صفحات خاصة ومدونات او من خلال التفاعل مع الصفحات المختلفة.
- سهلت المطالب العامة لحراك ٢٠١٩ وشعارها الموحد "انريد وطن" على النساء والرجال من خلفيات اجتماعية وأيديولوجية مختلفة أن يتجمعوا ويتشاركوا دون الاضطرار إلى التعامل مع قضايا أكثر إثارة للانقسام لكنها ايضاً فوتت الفرصة للافادة من الزخم الاحتجاجي والبناء عليه للعمل على رفع المطالب النسوية كجزء من مطالب الحراك وبما يعمل على التنبيه للتفاوتات بين الجنسين والعمل على ردمها فالمشاركة النسائية وحدها لاتحدث التغيير.
- من المهم ايضاً الافادة من الوعي النسوي الذي تشكل أثناء الاحتجاجات لتشكيل هياكل مجتمعية نسوية جديدة ذات قاعدة جماهيرية تتجاوز الاطر والتنظيمات القديمة وتعتمد على الحراك الشعبي لتقديم مطالبهن الخاصة.

© منتدى البحوث الاقتصادية، 2022. موجز السياسات تقدم نتائج مشروعات الأبحاث وموضوعاتها.
الآراء التي يعبرون عنها هي آراؤهم الخاصة كمؤلفين ولا ينبغي أن تُنسب إلى منتدى البحوث الاقتصادية (ERF) أو مجلس أمنائه أو المانحين.

ECONOMIC RESEARCH FORUM
منتدى البحوث الاقتصادية

النساء صاحبات المصلحة في التغيير

في تشرين الاول 2019، أنطلقت حركة احتجاجية واسعة في وسط وجنوب العراق، كان من ابرز سماتها الحضور القوي للنساء، ولا سيما الشابات. اذ اندفعت النساء واتخذن قرار الاحتجاج دون توجيه أو دعوة أو تنظيم من اية جهة , لم تكن مشاركتهن شكلية فقد رابطت المتظاهرات في ساحات الاحتجاج معتصمات وظهرت الشابات قائدات رأي وقارعات طبول يعتلين المنصات بالخطب والهتافات. ولم تخرج اكثر النساء لتعبر عن مطالب خاصة بهن وانما تبنين مطالب واهداف الحراك الذي قاده الشباب.

فرضت الحروب وفترة العقوبات قيودا اجتماعية وأقتصادية اضافية على النساء أثرت في مشاركتهن الكاملة والمتساوية في الحياة العامة. وجعلتهن مابين "المطرقة والسندان" بحسب تعبير دنيز كانديوتي: "يتعين عليهن الكفاح من أجل حقوقهن القانونية الرسمية التي تتعرض لتهديد مستمر من القوى الاجتماعية المحافظة وحقوقهن الأساسية في الأمن وكرامة الإنسان التي أصبحت ضحية فوضى انعدام القانون المتوطنة والإفلات من العقاب في مجتمعاتهن" . كان خروج النساء الى ساحات التظاهر شكل من اشكال المقاومة والرفض للعنف الهيكلي الذي عانت منه النساء جراء الحروب والعقوبات الاقتصادية والاقتتال الطائفي, والفساد المتغلغل في كل مفاصل الحياة. فهي المتضرر الاول وصاحبة المصلحة في التغيير. ومكن الانخراط في الفعل الاحتجاجي النساء من تحدي الهيمنة الذكورية وساهم في ادراكهن لتمثلات جديدة بعد التحولات الفردية التي رافقت مشاركتهن فلم تعد تلك المتماهية مع قيم الذكور في العائلة وخطت لنفسها نهجا مستقلا ومتعارضا احيانا مع موقف الابناء والزوج .

الفضاء الافتراضي ومشاركة النساء في الاحتجاجات

ساهم الفضاء الافتراضي بشكل فاعل في اختراق النساء للفضاء العام الذي منعن منه وحرمن من الوصول اليه وجهزهن للمشاركة الفعلية في الفضاء الاحتجاجي بعد ان اتاح لهن فرص متساوية في التعبير عن آرائهن بحرية بالاستناد إلى تجاربهن الحياتية بعيدا عن حجج المنطق والعقلانية ودون الحاجة الى قدرات نقدية ومهارات خطابية. اتاحت وسائل الاتصال فرصة للنساء للتعرف على ما يحدث في الفضاء العام ، دون الحاجة للخروج من المنزل، وأصبحن مشاركات فيه من داخل منازلهن. وصرن يعبرن عن آرائهن من خلال انشاء صفحات خاصة ومدونات او من خلال التفاعل مع الصفحات المختلفة. واعطت الاسماء والهويات المستعارة فرصة اكبر للتأثير والتفاعل بلا قيود او رقابة. نشطت العراقيات على مواقع التواصل الاجتماعي ووصلت نسبة اللواتي يستعملن هذه الوسائل وبشكل يومي 67% في العاصمة بغداد و 45% منهن يقضين ما بين 3 الى اكثر من 5 ساعات يومياً.. استعانت العديد منهن بهذه المواقع لتجاوز عزلتهن عن الفضاء العام وأصبحت بالنسبة لهن مجالاً مفتوحا للتعبير عن ارائهن ومواقفهن ولممارسة السياسة والتعاطي مع الشأن العام وتقديم أنفسهن وإسماع أصواتهن بشكل مبسط وطرق سهلة.

اثر انخراط النساء في الفضاء الافتراضي في زيادة وتعزيز ادراكهن للقضايا السياسية التي يشهدها العراق وفتح المجال امامهن لتشكيل حكم ذاتي جديد, وهذا الوعي السياسي الذي تشكل نتيجة تفاعلهن مع القضايا المختلفة لابد ان ينعكس على مشاركتهن السياسية، لما يحدثه هذا التفاعل من تأثير عاطفي ومعرفي سرعان ما يتحول الى سلوك. من ناحية أخرى اكسبتهن وسائل التواصل الاجتماعي بدائل وأدوات جديدة للمشاركة في الشأن السياسي والتعاطي مع الاحتجاجات باتخاذها كمنصات للحوار ولتشكيل الرأي العام السياسي عبر مدونات وصفحات ومواقع منها صفحة (بنات التحرير) و (لبوات العراق) و صفحة الناشطة الحقوقية والإعلامية (شذى الدليمي) .نجحت المدونات والاعلاميات والناشطات على مواقع التواصل الاجتماعي في اثارة الكثير من القضايا التي كان تناولها والتعاطي معها محصورا وحكرا للرجل، وأكسب تناول هذه القضايا النساء ثقة بالنفس وشهرة. توسعت علاقاتهن الاجتماعية وأصبحن يشعرن بالمسؤولية تجاه قضايا الشأن العام في مجتمعاتهن وهو ما هيأهن وبسهولة للانتقال من الفضاء الافتراضي إلى ميدان الاحتجاجات.

المشاركة في الاحتجاجات وتعزيز الفردانية والاستقلالية لدى المشاركات

عززت مشاركة النساء في الحراك الاحتجاجي سواء من خلال وجودهن في الساحات او في الفضاء الافتراضي من تنامي الفردانية عند النساء. اذ شكلت هذه المشاركة حاضنة جديدة لنمو وتشكيل شخصية الأفراد بعيداً عن الامتثالية الاجتماعية والأطر التقليدية المهمينة. غير إن التأثير الأهم فيما يتعلق بتنامي النزعة الفردية عند النساء يرتبط بالدرجة الأساس بالتغيرات الاجتماعية التي احدثها الفضاء الافتراضي على بنية السلطة داخل العائلة. اذ ادت كما توضح (نهاوند القادري عيسى) الى تفكيك النموذج العائلي البطريركي القائم على سلطة الاب لصالح عائلة

أكثر مساواة, بعد ان انشأت الحدود داخل المنازل وخلقت نوعا من التمايز الذي ساهم في تبلور هوية كل فرد، مما أدى إلى تراجع قدرة الأسرة كمؤسسة على فرض نموذجا على أعضائها وصب شخصياتهم في قوالب جاهزة. وكان من نتائج ذلك اعادة تعريف الأدوار الاجتماعية وبناء الهوية الجندرية. كما نتج عن الاستخدام الكبير لوسائل التواصل أن أصبحت حاجة الفرد إلى الاستقلالية موازية اذ لم تكن اكبر من حاجته للانتماء إلى مجموعة اجتماعية. وفرت ساحات الاحتجاج وشبكات الانترنيت المساحة الآمنة للنساء لان يعبرن عن ذواتهن ويعدن تعريفها كما يرينها و يردنها لا كما يريدها الآخرون. وهذا جوهر الفردية ومعناها، كما أتاحت الفرصة للنساء المستبعدات عن الشأن العام وغير القادرات على البوح لان يظهرن ويعبرن عن ارائهن.

مطالب النساء وشعارتهن خلال الاحتجاجات

تبنت النساء مطالب الحراك واصطففن مع شعاراته الموحِّدة "إنريد وطن" و "نازل آخذ حقي."التي لم تسمح بظهور مطالب خاصة بطبقة او فئة معينة. وجعلت من الممكن للنساء والرجال من مختلف الخلفيات الاجتماعية والايديولوجية أن يجتمعوا دون الاضطرار إلى التعامل مع قضايا تثير الانقسام والاختلاف.

اختارت النساء، جنباً إلى جنب مع الفئات الاجتماعية الأخرى في الغالب، الوقوف خلف الشعار الموحد "إنريد وطن" للتعبير عن مطالبهن بنظام سياسي جديد قائم على المساواة. كما تطالب بالحرية الدينية والسياسية والعدالة للذين قُتلوا أثناء الاحتجاجات السلمية. هل فوتت النساء فرصة للدفاع عن أجندة تركز على النساء؟ على الرغم من الزخم النسوي الذي شهدته ساحات الاحتجاجات في العاصمة غير انه لم يتم الافادة من هذا الزخم والبناء عليه للعمل على ردم التفاوتات بين الجنسين. وعجزت النساء عن تنظيم انفسهن في تشكيلات جمعوية وروابط منفصلة عن الرجال ليتمكن من تمثيل مصالح النساء. ولم تندمج هذه الكتل النسائية ولم تشكل جبهة واحدة ليتمكن من الوصول الى اهدافهن في انشاء الشروط اللازمة لاقامة علاقات قائمة على المساواة .

وظلت كل مجموعة تعمل بمفردها وتقاوم اندماجها في تحالف نسائي أكبر وترفض المشاركات من انصار التيار الصدري اللاتي يشكلن مع النساء المدنيات (شيوعيات وعضوات رابطة المرأة العراقية وناشطات نسويات) كتلة نسائية تشارك سوية في الاحتجاجات منذ عام 2011 رغم الاختلافات الايديلوجية فيما بينهم، ترفض ان تكون لهن جبهة " ليس لنا خلية نسوية ولا نشكل جبهة نحن عراقيين اولا واحرار ومادفعنا للمشاركة هو حب العراق والرغبة في اعادة بناءه بنائه". ولم يشهد الحراك الشعبي في بغداد بناء تحالفات للتنظيمات نسائية الموجودة أصلا والمشاركة في الاحتجاجات على الرغم من أهمية توحيد الجهود لتطوير خطاب نسوي واجندة نسوية للحراك .

تشكل الوعي بالتفاوتات الجندرية داخل الفضاء والممارسة الاحتجاجية

انعكست التفاوتات الجندرية على طبيعة مشاركة النساء كما هو واضح في عائليتها اذ يمكن القول ان نسبة كبيرة من المشاركات في حركة الاحتحاجات في بغداد ومعظم المشاركات في المحافظات يمثلن جزء من شبكة علاقات عائلية منخرطة في الفعل الاحتجاجي، وغالبيتهن زوجات او امهات او اخوات لمتظاهرين متواجدين في ساحات الاحتجاج. كما انعكست هذه التفاوتات في طبيعة الادوار التي مارستها النساء وتموضعها داخل الاحتجاجات فعلى الرغم من ان النساء شاركن في كافة تمظهرات الحراك كالاعتصام والتظاهر والهتاف وتصدرت صفوف المتظاهرين بالقاء الاهازيج التي يرددها من خلفها المتظاهرين غير انها بقيت في أطار دور المساند وليس الشريك المساهم في اتخاذ القرارات. وظلت الادوار رغم تنوعها غير انها لاتخرج عن اطار الادوار التقليدية وامتداد لادوارها الجندرية داخل المنزل مثل الطبخ والتنظيف وغسل الملابس والتطبيب واسعاف المتظاهرين.

لم تكن التفاوتات الجندرية العميقة التي رسخت لأوجه عدم المساواة بين الرجال والنساء في العراق هي الدوافع الاساسية المحركة للفعل الاحتجاجي عند النساء وربما كان هذا أحد العوامل المفسرة لغياب اجندة نسوية في احتجاجات تشرين, ومع ذلك يمكن قراءة المشاركة الواسعة للنساء في الاحتجاجات، على انه تعبيرعن الرغبة والسعي الى المساواة الجندرية، ليس بوصفها مطلباً أو شعارات ترفع في ساحات الاحتجاج وانما بوصفها ممارسة يمكن ان تتحقق عن طريق الانخراط بالفعل الاحتجاجي نفسه ومشاركة النساء الرجال في تشكيل مشهد التظاهرات وبناء مسار التحول ،وحرص المتظاهرات الذي كشفت عنه المقابلات التي اجريت مع عدد منهن على ان لا يكون هذا المشهد ذكوريا، وان لا تقتصر الساحات على الرجال فقط، بل ان بعضهن اكدن ان مشاركتهن محاولة للمساواة و المناصفة والتشارك مع الرجال في الموت (المصير).

غير ان الوعي بهذه التفاوتات وضرورة انهائها بدأ يتشكل داخل الفعل الاحتجاجي نفسه حيث بدأت المطالب النسوية تتبلور وقضايا الجندر بدأت تطرح وبشكل مباشر في الشهرين الاخيرين للانتفاضة وتحديدا في نهاية يناير خاصة بعد الهجمات التي تعرضت لها النساء من قبل انصار التيار الصدري ومطالبتهم بالعزل الجنسي داخل ساحات الاحتجاجات ومنع تواجد النساء في خيم المعتصمين والاعتداء على الشابات بالضرب بحسب شهادات , بعد اربعة اشهر من الانتفاضة تأسست أول خيمة اعتصام خاصة بالنساء ولايدخلها الذكور وهي خيمة (سومريات) مثلت محطة استراحة للمحتجات وتناقش فيها قضايا تخص النساء مثل قضية حضانة الاطفال كما نظمت النساء الشابات تظاهرة نسائية ضخمة حملت شعار "بناتك ياوطن" شاركت فيها الالاف من النساء ردا على الاعتداءات والهجمات التي نالت من مشاركة النساء والتي وظفت لتسقيط التظاهرات وتشويه صورتها.وهذا الوعي النسوي من الممكن ان يشكل نواة لحركة نسوية جديدة ذات قاعدة جماهيرية تتجاوز الاطر والتنظيمات القديمة وانما تعتمد على الحراك الشعبي نفسه للدفاع عن قضايا النساء مثل مجموعة "تشرينيات".

الابعاد الجندرية لانتفاضة تشرين

غياب الاجندة النسوية لا يعني غياب البعد الجندري للحركات الاحتجاجية, فلغة وخطاب السلطة السياسية التي قمعت الانتفاضة كانت جندرية بامتياز تتهم المتظاهرات والمتظاهرين بالفساد الاخلاقي وخرق المبادىء الدينية والاجتماعية التي طالما حدت من الاختلاط وحددت العلاقات ما بين الجنسين. وهو مادفع النساء الى رفع شعارات خاصة بهن وتعكس محنتهن في التظاهرة النسائية التي حملت عنوان "بناتك يا وطن". من جهة أخرى فأن البعد الجندري لايقتصرعلى مشاركة النساء فقط بل يتعدى ذلك الى ما انتجته الاحتجاجات بوصفها ظاهرة حضرية من فضاء اجتماعي بديل استعادت فيه المتظاهرات والمتظاهرون فضاءً كان معسكراً ومخصخصاً وذكورياً. وانتجوا فضاء عام وشامل وبعيد عن العنف المسلح، يمكن للنساء فيه ان تتحدى الأعراف الجندرية المهيمنة والمشارَكة بفاعلية في بناء نسيج اجتماعي غير (اواقل) أبوي.

في العراق وكذلك في جميع أنحاء المنطقة، لم تُترجم المشاركة الواسعة للنساء في النضالات القومية والمناهضة للإمبريالية في الأربعينات والخمسينات في تمثيلهن السياسي وحقوقهن السياسية والاجتماعية. في الواقع، غالباً ما يتم دفع مطالب النساء جانباً لصالح المطالب التي يعتبرها الناشطون الذكور أكثر أهمية. هل انتفاضة أكتوبر هي فرصة أخرى ضائعة على النساء لتقديم مطالبهن الخاصة؟ أولاً، كما أشارت نرمين علام في حالة الانتفاضة المصرية، فإن غياب ما هو خاص بالجندر هو "نتيجة إطار من الصدى." لقد عبّرت المتظاهرات العراقيات عن مطالبهن في الإطار المتاح لهن. إن فاعليتهن وتموضعهن، كما هو الحال بالنسبة لأي فئة اجتماعية أخرى، مبهم ويعتمد على سياقهن الاجتماعي والسياسي. وبالاضافة الى ذلك لقد كان الرصاص الذي طال المتظاهرين في الاحتجاجات الدافع الاساسي وراء قرار المشاركة لديهن والرغبة في حماية المتظاهرين هو المحرك الاول لمشاركتهن. فمشاركتهن تفسر في اطار انتاج فضاء بديلا يعارض العنف الذي يسيطر على حياة العراقيين والعراقيات.

قائمة المراجع

جهاد كاظم العكيلي (2018): استعمال المراة لوسائل التواصل الاجتماعي دراسة مسحية لعينة من النساء العراقيات في بغداد. مجلة الجامعة العراقية .العدد 40.ص ص 411-387

سمرمحمد الدريملي(2013:أثر مواقع التواصل الاجتماعي على المشاركة السياسية للمرأة في فلسطين.رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة الازهر –غزة ص 119

نهاوند القادري عيسى: النساء في الفضاءات العامة/ هوامش مضاءة . كتاب باحثات. الكتاب الخامس عشر(جداول للنشر والترجمة .بيروت -2011 ص 161/162

Kandiyoti. 2007. Between the Hammer and the Anvil: Post-Conflict Reconstruction, Islam and Women's Rights. Third World Quarterly 28(3): 503–17.

Allam, Nermin. 2017. Women and the Egyptian Revolution: Engagement and Activism during the 2011 Arab Uprisings, Cambridge University Press.

لمحة عن منتدى البحوث الاقتصادية: منتدى البحوث الاقتصادية هو شبكة إقليمية لتعزيز البحوث الاقتصادية عالية الجودة من أجل التنمية المستدامة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وتأسس منتدى البحوث الاقتصادية عام ١٩٩٣، وتتمثل الأهداف الأساسية لمنتدى البحوث الاقتصادية في بناء قدرات بحثية قوية في المنطقة؛ لتشجيع إنتاج أبحاث مستقلة عالية الجودة؛ ونشر مخرجات البحوث لجمهور واسع ومتنوع. وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، تشمل مجموعة أنشطة منتدى البحوث الاقتصادية إدارة مبادرات بحثية إقليمية مختارة بعناية؛ وتوفير التدريب والتوجيه للباحثين المبتدئين؛ وبناء قواعد البيانات وتوفيرها للباحثين وصانعي السياسيات؛ ونشر نتائج البحث من خلال الندوات والمؤتمرات ومجموعة متنوعة من المنشورات. ويقع المقر الرئيسي للمنتدى في مصر، بينما ينتشر زملاء البحث والسياسات من منسوبي المنتدى في بلدان المنطقة المختلفة وكذلك في أنحاء أخرى من العالم.

معلومات التواصل

مكتب منتدى البحوث الاقتصادية
العنوان: 21 شارع السد العالي، الدقي، الجيزة، مصر
صندوق بريد: 12311
هاتف: 603 – 20233318600+
فاكس: 20233318604+
البريد الإلكتروني: erf@erf.org.eg
الموقع الإلكتروني: http://www.erf.org.eg

تابعونا من خلال

economic-research-forum *ERFlatest* *TheERFLatest* *www.erf.org.eg*